

صيد الخاطر

67 - - فصل : في الأسباب و المسببات .

قلوب العارفين يغار عليها من الأسباب و إن كانت لا تساكنها لأنها لما انفردت لمعرفتها
أنفرد لها بتولي أمورها .

فإذا تعرضت بالأسباب محى أثر الأسباب : { و يوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم
شيئا } .

و تأمل في حال يعقوب و حذره على يوسف عليهم السلام حتى قال : { أخاف أن يأكله الذئب }
فقالوا : { أكله الذئب } .

فلما جاء أوان الفرج خرج يهوذا بالقميص فسبقه الريح { إنني لأجد ريح يوسف } .
و كذلك قول يوسف عليه السلام للساقى : { اذكرني عند ربك } فعوقب بأن لبث سبع سنين و إن
كان يوسف عليه السلام يعلم أنه لا خلاص إلا بإذن الله و أن التعرض بالأسباب مشروع غير أن
الغيرة أثرت في العقوبة .

و من هذا قصة مريم عليها السلام { و كفلهما زكريا } فغار المسبب من مساكنة الأسباب {
كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا } .
و من هذا القبيل ما يروى عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : [أبى الله أن يرزق عبده
المؤمن إلا من حيث لا يحتسب] .

و الأسباب طريق و لا بد من سلوكها و العارف لا يساكنها غير أنه يجلي له من أمرها ما لا
يجلي لغيره من أنها لا تساكن و ربما عوقب إن مال إليها و إن كان ميلا لا يقبله غير أن أقل
الهفوات يوجب الأدب و تأمل عقبي سليمان عليه السلام لما قال : [لأطوقن الليلة على مائة
إمرأة تلد كل واحدة منهن غلاما و لم يقل : إن شاء الله] فما حملت إلا واحدة جاءت بشق غلام [.

و لقد طرقتني حالة أوجبت التشبث ببعض الأسباب إلا أنه كان من ضرورة ذلك لقاء بعض الظلمة
و مداراته بكلمة فبينما أنا أفكر في تلك الحال دخل علي قارئ فاستفتح فتفاءلت بما يقرأ
فقرأ { و لا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار و ما لكم من دون الله من أولياء ثم لا
تنصرون } .

فبهت من إجابتي على خاطري و قلت لنفسي : إسمعي فإنني طلبت النصر في هذه المداراة
فأعلمني القرآن أنني إذا ركنت إلى طالم فاتنى ما ركنت لأجله من النصر .

فيا طوبى لمن عرف المسبب و تعلق به فإنها الغاية القصوى فنسأل الله أن يرزقنا

